تطورالتعليم اليهودي بمدينة فاس على عهد الحماية

محمد اليزيدي
كلية الآداب ظهر المهراز فاس

شكل التعليم اهتماما أساسيا في حياة الطائفة اليهودية المغربية وأحد أبرز مظاهر ثقافتها، إذ لا تكاد" تخلو الملاحات القديمة بالمدن الكبرى أو في أماكن تجمعات السكان المتواضعة بالقرى، أو في قصور تخوم الصحراء أو أودية الأطلس، من أماكن مخصصة للتعليم"[1]كما شكل هذا الأخير عنصرا للحظوة والمكانة داخل مختلف الملاحات بالمغرب وليس الثروة، فالفقراء والأغنياء كانوا يعيشون جنبا إلى جنب، وعنصر التمييز الوحيد كان هو الحكمة بشقيها الفكري والديني[2]، وهو ما يفسر إلى حد كبير وجود رجال الدين على رأس الهرم الاجتماعي لدى الطائفة اليهودية المغربية.

واكتسى هذا التعليم طابعا دينيا محضا حيث كان يشرف عليه الأحبار في مدارس صغيرة كانت تسمى" الحيدر" ويشير" شلوموديكن"Deshen في دراسته عن دور البيعة عند الطائفة[3]. إلى أنها لم تكن تستغل للتعليم نظرا لطابعها المقدس، لذلك كان يتم الالتجاء إلى مساكن المدرسين أو أماكن مكتراة لهذا الغرض، كما كانت تستغل بعض المنازل الخاصة كمدارس[4].

ويتطلب التعليم في المرحلة الابتدائية أن يتعلم الطفل القراءة ومجموعة من المعارف، حيث يطغى الطابع الشفوي في غياب تمارين كتابية، وللتأكد من أن الدروس والمعارف التي

---

[1]الزعفراني (حاييم)، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب، (تاريخ، ثقافة، دين) ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، الطبعة الأولة، 1987، ص. 61.

[2]Mergui (F), “Attitudes des juifs Marocain au Moment de l’indépendance”Juifs du Maroc, Identité et dialogues, la pensée sauvage, Grenoble, 1980, p. 274.

[3]Deshen (S.), Les gens du Mellah, Albin Michel, 1991, pp. 131-178.

[4]*Ibid.*, pp. 152-153.

درست قد تم استيعابها، فإن الوسيلة الوحيدة هي المراقبة والتسميع[5].أما عدد التلاميذ "باليشفاة"[6] فكان يتراوح ما بين 30 و40 تلميذا، ويقتصر في برنامج الدراسة على التوراة والشروحات[7].

وقد تعرضت طريقة التدريس سواء بالحيدر أو اليشفاة لانتقادات عديدة خصوصا، وأن دورها لا يهدف إلى تكوين صغار اليهود على الاندماج في الحياة بقدر ما كان ينحو نحو التكوين الديني والالتزام بأمور العقيدة، لكي يتمكن الفرد في النهاية من المشاركة في قداس البيعة. لهذه الأسباب نجد الزعفراني يوجه انتقاده للبيداغوجية المتبعة في هذه المؤسسات" التي تتسم بكل العيوب التربوية القروسطوية التقليدية [8] نظرا للإفراط في الاعتماد على الحفظ والنقول.

غير أن هذا الوضع سرعان ما تغير مع هبوب رياح التغيير خلال النصف الثاني من القرن 19 على مختلف الملاحات بالمغرب التي عرفت تطورات جذرية في المجال التعليمي بفضل جهود الرابطة اليهودية العالمية.كانت تطوان أول مدينة مغربية شملها مشروع الرابطة التعليمي عندما أقدمت هذه الأخيرة على تدشين أولى مدارسها في 23 دجنبر 1852، وتم تعيين أول مدرس ومدير للرابطة بالإمبراطورية الشريفة، وكان هو" هرنان كوهن" Hernan Cohen[9]تلتها بعد ذلك مدارس أخرى، غير أن ما كانت تسعى إليه الرابطة هو توسيع شبكتها لتشمل المدن الداخلية المغربية وعلى الخصوص مدينة فاس حيث كثف ممثلوا الرابطة اتصالهم بمختلف قناصلة الدول الاوربية، وعلى الخصوص الوزير الفرنسي المفوض بطنجة" بوميي دكين" Beaumier D'Aquin" الذي وعد بالمساعدة.

وأثناء زيارته عام 1866 لمدينة فاس، اجتمع مع العديد من الأعيان وممثلي الطائفة، وأكد لهم أن تحسين وضعهم السياسي والاجتماعي رهين بالمساعدة على خلق مدرسة للرابطة بمدينة فاس.غير أن جهوده لم تكن لتجدي إلا بعد مرور سبعة عشر سنة على زيارته العاصمة الشريفة.[10]وفي نفس السياق عرفت سنة 1879، زيارة شخصيتين بارزتين من فاس وهما

---

[5] الزعفراني، الف سنة من حياة اليهود، مرجع سابق، ص. 67.

[6] اليشفاة، مدرسة تقليدية للتعليم العالي اليهودي.

[7] Toledano (H.), "Rabbinic education in Morocco In the 19 th and 20th centuries" in"Juifs du Maroc…, *op. cit.*, pp. 205-207.

[8] الزعفراني, ألف سنة من حياة اليهود، مرجع سابق، ص. 167....

[9] Laskier(M), "The Alliance Israelite Universelle and the Jewish Communities of Morocco(1862-1962), published by state university of New York press, Albany, 1983, pp. 91-62.

[10] *Ibid*, p 65.

الحزانان "حاييم يمين كوهن Haim Yamin Cohen" العضو المحلي للرابطة "ويعقوب بن زميرة"Yaacob Benzmira" لكل من باريز ولندن اللتين توصلتا بكتاب" أصول فاس" Yahas Fas" للحزان أبنر إسرائيل سرفاتي، وهو أول محاولة تأريخية ليهود فاس

وقد ترجم اهتمام اليهود الأوربيين بأبناء ملتهم بالمغرب ببداية الشروع في خلق مدرسة بفاس منذ سنة 1882، وأنيطت هذه المهام "بسلمون بنوليل Salmon Benoleil " الذي استطاع فتح أولى مدارس الرابطة الخاصة بالذكور بفاس، وذلك في 2 مارس 1884.[11] حيث شغلت في بدايتها الأولى إحدى المنازل الكبيرة بالملاح، أما عدد تلامذتها فراوح المائة[12].

بدل مذرسو الرابطة جهودا كبيرة في نشر التعليم داخل الأوساط اليهودية، وعملوا على تكييف برامجهم وفق تطلعات الشبيبة اليهودية، إلا أن عملهم خلال السنوات الأولى من وجودهم بمدينة فاس لم ينج من الانتقاد.وفي هذا الإطار تم الوقوف على عدة مراسلات، تبرز أن دور مدرس الرابطة في البداية" كان يقتصر على ملء رؤوس تلاميذه بمعارف لا تمكنهم من روح المبادرة والعقلنة وتقديم الأحكام"[13]، غير أن هذا الوضع سرعان ما تغير خصوصا بعدما أصبحت تنمحي تدريجيا معارضة كبار الأحبار اليهود لجهود الرابطة ووفقا لهذه التحولات أصبحت مهام اطر الرابطة تتجه تدريجيا إلى "تكوين الرجال الأحرار والموظفين والصناع وفق المناهج البيداغوجية العصرية"[14]. إلى جانب الدور التنظيمي لعب مدرسو الرابطة دورا مهما في تزويد مقرها بباريس بمختلف المعلومات التي تهم دورهم في تنظيم حياة الطائفة اليهودية بالمغرب، إذ كان كل مدرس مطالب بإرسال تقارير، منها ما هو منشور في مختلف مطبوعات الرابطة ومنها ما هو محفوظ بأرشيفها بباريس، حيث تم الوقوف على بعضها، وتتضمن معلومات عن أصول الطائفة اليهودية المغربية ومختلف التطورات التي مرت بها مع التركيز على إظهار مختلف الفروقات التي تميز الطائفة اليهودية المغربية عن تلك التي هاجرت إلى المغرب من الأندلس خلال القرن15"[15]، وإلى جانب ذلك، استخدمت الرابطة العديد من مديري مدارسها ومنهم"

---

[11]*Ibid.*, p. 428.

[12]***Bulletin mensuel de l'A.I.U.***, N12, Mars 1884, p. 42

[13]***A.I.U.***, Maroc IB 1-8-Boite, N 4, Lettre adressée par Cadash-Elie Instituteur à Fès au Président de l'A.I.U., N13, Fès, décembre 1930.

[14]*Ibidem*

[15]*Ibid.*, S.44, Boite, N3, Lettre envoyée par Simha Moise Instituteur à Fès, au Président de A.I.U., N 3382, Fès, 11 décembre 1934

المالح[16] لمناهضة النشاط الصهيوني بمدرسة فاس الذي عرف بدايته عام 1908، مع تأسيس جمعية أحبة صهيون بتمويل من إحدى الجمعيات الصهيونية بألمانيا[17]

ولا يتسع المجال هنا للوقوف على مختلف المعطيات التي عرفتها العلاقة بين الرابطة اليهودية والحركة الصهيونية بمدينة فاس، فالأمر يتطلب موضوعا منفردا بذاته لرصد مختلف التحولات التي عرفتها الطائفة اليهودية بفاس سواء من خلال علاقتها بسلطات الحماية الفرنسية والرابطة اليهودية من جهة أو الحركة الصهيونية من جهة أخرى.

ردود فعل الطائفة اليهودية بفاس اتجاه مدارس الرابطة

لقد كان المدرسون الأوائل الذين تم إرسالهم إلى المغرب لفتح أولى مدارس الرابطة من المتحمسين للثقافة الغربية بصفة عامة، ومبشرين للثقافة الفرنسية بصفة خاصة، وأغلبهم كان من خريجي مدرسة المعلمين الشرقية بباريز.

فلمدة حوالي نصف قرن تشكل معظم مدرسي الرابطة بالمغرب من اليهود الأتراك المنحدرين من "إزمير"، و"القسطنطينية"، ومن اليهود اليونانيين بكل من " سالونيك"، و"ورودس"[18] وكانت طريقة عيشهم، وانتماؤهم تمكنهم من تفهم الساكنة اليهودية"[19]غير أن"لاسكيي" Laskier لا ينحو منحى"بنسيمون" Bensimon، إذ يرى" أن تشبع هؤلاء المدرسين بالثقافة الغربية جعلهم يصفون المسلمين واليهود على حد سواء بالبدائيين والربيون بالجهلة"[20]الأمر الذي ولد ردود فعل شديدة سواء من الأحبار اليهود أو السكان الذين رفض العديد منهم إرسال أبنائهم إلى هذه المدرسة التي لم يتجاوز عدد المتمدرسين بها ثمن الأطفال البالغين سن التمدرس بملاح فاس. وهذا الرقم لم تصله المدرسة إلا بفضل ضغط عدد من الأعيان، وجهود مديرها الذي ربط علاقات طيبة مع العديد من الأحبار الذين ساعدوه في مهامه[21].

فالعلاقات لم تكن دائما جيدة بين معلمي الرابطة بمدينة فاس وممثلي الطائفة. ففي سنة 1903، وبعد مرور عشرين سنة على تأسيس المدرسة نجد مديرها"فلادجي"Valadji لا زال

---

[16]Laskier (M), *op. cit.*, p. 199.

[17]*Ibid.*, p. 198.

[18]Ipid., p. 3.

[19]Bensimon (D.), ***Evolution du judaïsme marocain sous le Protectorat français (1912-1956)***, Mouton et Lahaye, 1968, p. 23.

[20]Laskier (M), .. *op. cit.*, P. 3

[21] ***Bulletin mensuel de l'A.I.U.***, N°12, Mars, 1884, p. 43

يعاني من قلة اهتمام الطائفة بالمجهود المبذول بالمدرسة، وعزا الاحترام الذي يكنه لــه بعــض اليهود إلى وجود الرابطة التي يعتبرونها مؤسسة خيرية ليس إلا ولطالما سمعت أنه لا جــدوى من وجود هذه المدارس بفاس خصوصا وأنها بعيدة عن كل ما هو ديني ومقــدس.لقــد تعــددت المشاكل التي عانى منها مدرسوا الرابطة بمدينة فاس، إذ أن غــرس مدرســة أوربيــة يــديرها مدرسون مشبعون بالثقافة الغربية، لم يكن من السهل قبوله من الأحبار.وأرشيف الرابطة اليهودية العالمية غني بشهادات العديد من اليهود الذين اعتبروا أن تدريس اللغة الفرنسية لأبنائهم ســيجعل منهم لا محالة رجالا مسيحيين[22].

وقد انعكست هذه الردود سلبا على التطور الاقتصادي والاجتماعي للطائفة اليهودية بفاس، مقارنة مع نظيرتها سواء بالمغرب أو في باقي الدول، التي تنتشر بها مدارس الرابطة وهو مــا جعل المدير الجديد لمدرسة الرابطة بفاس يعبر عن خيبة أمله، من النتائج التي حققتهــا مدرســة الرابطة، حيث يشير في هذا الصدد إلى إنه " لا زال أبناء ملتنا متعلقين بالوسائل الروتينية العتيقة في التجارة، ولم يقبلوا بعد على أي أفق جديد، عكس ما يقوم به شبان الطائفة بمدينة تطوان الذين يعتبرون من أنجح الطوائف(...) إنه لمن المؤسف أن يتعلم هؤلاء الشبان بمدينة فــاس مقاومــة الحياة، لكنهم يبقون في الأخير محكومين بالظروف المحلية والارتباط بالملاح، وبالتالي تعريضهم للتدني الفكري، والبدني والعودة إلى نقطة الصفر وتبني كل ما كانت المدرســة قــد اســتطاعت محوه"[23]. رغم أن جل هذه الشهادات تصب في خانة المعارضة المحلية لمدارس الرابطة، فــإن هذه الأخيرة أقدمت على عمل جرئ من خلال فتحها للمدرسة الخاصة بالفتيــات ســنة 1899، والتي بلغ عدد المسجلين بها 54 تلميذة سنة 1900، ومائة تلميذة سنة 1901، [24] وهو ما اعتبــر مظهرا هاما في تطور العقلية اليهودية بمدينة فاس، خصوصا إذا علمنا بأن مدرسة الذكور قوبلت بمقاومة كبيرة غداة افتتاحها سنة 1884.

لم تقف الطائفة اليهودية بفاس مكتوفة الأيدي أمام الزحف الكبير الذي أصــبحت تــشكله مدارس الرابطة، حيث حاولت إعطاء نفس جديد للتعليم اليهودي، سواء من خلال تطوير بعــض

---

[22]Zafarani (H), "Pédagogie Juive en terre d'Islam: L'enseignement traditionnel de l'hébreu et du Judaïsme au Maroc, Paul Geuthner, Paris, 1969, p. 103.

[23]***Bulletin mensuel de l'A.I.U.***, N 38, p. 255

[24]Bensimon (D.), "L'évolution de la femme Israélite à Fès, Publications de la faculté des lettres, Aix-en-Provence, la pensée universitaire, 1962, p. 97.

المؤسسات القديمة أو استحداث أخرى جديدة مستفيدة من الدعم المالي الكبير المقدم من قبل العديد من الجمعيات اليهودية العالمية.

فإلى جانب المدارس الخاضعة للحماية بمدينة فاس، استمروجود مؤسسات التعليم التقليدي الحيدر واليشفاه، وتم خلق أخرى وعلى رأسها أم هابنيم (أم الأطفال) ، التى كان من وراء خلقها الحزان الروسي" زيف هالبرين" R.Zeev Halprin، الذي حل بالمغرب سنة 1911، ولعب دورا كبيرا في تطوير الدراسات التوراتية باليشفاه. ولما رأى ما آل إليه التعليم التقليدي اليهودي من تدهور وتراجع، قرر إنشاء مدارس أم هابنيم بتبرعات نساء الأعيان اليهود بالملاح. وعرفت مدينة فاس أولى هذه المدارس، وتلتها بعد ذلك مكناس وصفرو[25] وبلغ عدد تلامذة مدرسة فاس حوالي 300 متمدرس[26].

وقد عرفت هذه المؤسسة تطورات كبيرة بفضل المساعدات المقدمة من المنظمة الأمريكية الارثودوكسية - Osar Ha Torah" التي كانت توجد بنيويورك، ويترأسها اليهودي ذو الأصل السوري" إسحاق شالوم" Ishac Challom، حيث شرعت في نشاطها الهادف إلى تطوير التعليم التقليدي اليهودي بالمغرب منذ سنة 1947، وبفاس منذ 14 يناير 1948، حيث قدمت مساعدات مادية لمدرسة أم هابنيم من أجل توسعتها، وهو ما رفضته إدارة الحماية بشكل قاطع مؤكدة أن التعليم اليهودي يجب أن يبقى بعيدا عن أي مساعدة أو تدخل خارجي، خصوصا وأن فرنسا تبذل قصارى جهدها من أجل النهوض بالتعليم اليهودي بفاس، حيث بلغ عدد المتمدرسين بهذه المدينة 1948 تلميذا من مجموع 2806 أطفال بالغين سن التمدرس أي بنسبة 69%، وبالمقابل فإن هذه النسبة لم تتجاوز 11.4% بالنسبة للمسلمين، أي حوالي 4579 تلميذ من مجموع أربعين ألف طفل مسلم بالغ سن التمدرس بمدينة فاس.[27]

غير أن المشرف اليهودي على هذه المدرسة "ماردوشي بوطبول" Mardoche Botbol، الذي كان يشغل في نفس الوقت منصب نائب القنصل البرتغالي، نفى أية علاقة بين Osar Ha

---

[25]Zafarani (H). *op. cit.*, p. 168

[26]***A.M.F.,*** Dossier Enseignement Israélite, Note confidentielle adressée par le Contrôleur civil au chéf de la région sur la scolarisation des Israélites Marocains, N54, D.A.U/C, Fès 30 Janvier 1948.

[27]***A.M.F.***Constructions des Ecoles Israélites, R.G. Confidentiel, SN, Rabat, 30 Janvier, 1948.

Torah ومدرسة أم هابنيم، مؤكدا أن هذه الأخيرة لم تتلق أية مساعدة مالية أمريكيـــة[28]. ومـــن جهتها حاولت الطائفة إعطاء نفس جديد للتعليم التقليدي من خلال خلق" يشفاه" جديدة بمدينة فاس سنة 1949، بمبادرة من "جوزيف سرفاتي" Joseph Serfaty وبدعم من الحزان الكبير" سريرو" Serero، وتم تخصيص 10% من ميزانية الطائفة لإعادة الاعتبار للدراسات التوراتية، غير أن النجاح الذي حققته هذه اليشفاه كان متواضعا خصوصا وأن أغلب الراغبين في الدراسات الدينية التقليدية، أصبحوا يتوجهون نحو معهد الدراسات العليا الربية الذي تم اســتحداثه بالربـــاط ســـنة 1950[29]ووعيا منهم بأهمية التغيير وتطوير مستوى التعليم الديني، أصبح رجال الـــدين اليهـــود ينسقون جهودهم مع ممثلي الرابطة، وفي هذا الإطار تم تعويض الحيدر "بتلمودتورا" - Talmud Torah، وهي مدارس تلتزم بشروط النظافة وببرنامج يتم تحديده مسبقا من قبل كبـــار الأحبـــار الذين كانوا يتولون مهام الإشراف البيداغوجي في حين كان ممثل الرابطة اليهودية يتولى تدريس اللغة الفرنسية.[30]

ولتوفير الأطر لهذا التعليم، تم إنشاء مدرسة المعلمين العبرية بالدار البيضاء[31].وإذا كـــان التفكير قد انصب بشكل كبير على إعادة إحياء الثقافة العبرية، فإنه بالمقابل لوحظ تجاهـــل للغـــة العربية التي طالما اعتبرت مكونا أساسيا للشخصية اليهودية المغربية، وقد بررت الرابطة هـــذا الغياب بثلاثة أسباب رئيسية:

1/ عدم توفر الرابطة على مدرسين مختصين بتدريس العربية.

2/ عدم تلبية المخزن لطلب الرابطة القاضي بتوفير مدرسين للغة العربية.

3/ رغبة العديد من الآباء في أن تقتصر لغة تعليم أبنائهم على العبرية واللغات الأوربية، إلا أن ذلك لم يمنع من تدريس هذه اللغة برغبة من الآباء ببعض المدارس، وخـــصوصا بمدينـــة فاس[32]، غير أن شهادات حية تشير إلى أن الرابطة لم تكن تدرس اللغة العربية في مدارسها قبل الاستقلال[33]فهل يترجم هذا التحول التوجه العام الذي سارت فيه الطائفة اليهودية التي أصـــبحت

---

[28]*A.M.F.,* Dossier Enseignement Israélite, Note confidentielle sur la scolarisation des Israélites marocains adressée par le contrôleur civil au chéf de la région de Fès, N 54 DAU/C. 30 Janvier 1948.

[29]Zafarani (H) " Pedadogie Juive…, *op. Cit.* p. 103

[30]*Ibid.*, p. 107

[31]Laskier (M), . *op. cit.*, p. 242

[32]*Ibid.*, p 103.

[33]Mergui (F) " Attitudes de Juifs Marocains…" *op. cit.*, p. 274.

تعي أن مستقبلها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، أصبح رهينا باندماجها في العائلة الفرنسية الكبيرة ؟ أم أن الأمر وكما يشير إلى ذلك"جاك دحان"DAHAN.J: " في كون الطائفة كانت محتارة منذ سنة 1947، ما بين الاخلاص للوطن الأم المغرب، وبين فرنسا التي شكلت المثل الأعلى للطائفة إذ بواسطة تعليمها وثقافتها ولجت عالم الحضارة"[34] ؟.

تمدرس اليهود المغاربة بفاس إبان الحماية

عملت إدارة الحماية على تغيير وضعية اليهود بعدما فتحت لهم آفاق الخروج من الملاح، وشغر بعض المناصب الإدارية والاقتصادية الهامة مستفيدين من معرفتهم المسبقة باللغة الفرنسية فقد وجد الفرنسيون في قدماء تلاميذ مدارس الرابطة وسيلة فعالة وناجعة لتسهيل تدخلهم.فغداة توقيع معاهدة الحماية بلغ عدد مدارس الرابطة أربعة عشر مدرسة وحوالي 3300 تلميذ[35]، وأصبحت تحظى باهتمام متزايد من قبل سلطات الحماية أو من طرف المخزن حيث أصدر السلطان ظهيرا سلطانيا يمنح بموجبه الرابطة اليهودية العالمية بقعة أرضية من أجل بناء مدرسة ومشاريع خيرية بمدينة فاس[36].تزامن ذلك وازدياد القناعة بأهمية اللغة الفرنسية والدور الذي أصبحت تلعبه في الحياة الاقتصادية، خصوصا وأن من استفاد من مجيء الفرنسيين بالدرجة الأولى كانوا من الذين يتقنون اللغة الفرنسية، ويقدم المالح مدير مدرسة الرابطة نموذج"تاجرين من قدماء تلاميذ مدارس الرابطة حققا ثروة طائلة نتيجة استفادتهما من احتكار تموين الجيش الفرنسي، مما ولد الشعور بالندم لدى أولئك الذين طالما رفضوا المدرسة واحتقروها"[37].

وشهدت الفترة تزايد الإقبال على هذه المدارس، ومعها تزايدت التكاليف المادية للرابطة التي لم تعد قادرة على القيام بواجبها اتجاه أبناء الطائفة، خصوصا بمدينة فاس وهو ما تم الوقوف عليه من خلال رسالة موجهة من المقيم العام ليوطي إلى رئيس الرابطة اليهودية العالمية، حيث أعرب فيها بعد زيارته لمدرسة الرابطة بفاس، عن ما تعانيه هذه الأخيرة من سوء التسيير والوضعية المزرية التي توجد عليها، مما جعله يطلب من الرابطة التدخل لوضع حد لهذه الحالة، غير أن الرابطة تذرعت بعدم توفرها على الإمكانيات المادية، وهو ما حدا بليوطي إلى اتخاد

---

[34]Dahan (J), Regard d'un Juif Marocain sur l'histoire contemporaine de son pays, l'Harmattan, 1995, pp. 8-9

[35]Zafarani (H.I), Pédagogie Juive…, *op. cit.*, p. 105

[36]Laskier (M), *op. cit.*, pp. 154-155.

[37]***Bulletin mensuel de l'A.I.U.***, N° 44, Avril 1914, p. 187.

قرار نقل أماكن هذه المدارس إلى بنايات توفر شروط الدراسة من خلال إيجاد فصول وأقسام تتوفر فيها التهوية بشكل جيد[38]، ولعل عجز الرابطة وضغط الحماية من أجل فرض مراقبتها على المؤسسات التعليمية اليهودية ساهم إلى حد كبير في بلورة اتفاق 10 أكتوبر 1915، الذي تم بموجبه إخضاع مدارس الرابطة لإشراف إدارة التعليم وبناء مدارس جديدة أطلق عليها اسم المدارس الفرنسية اليهودية.

عرفت سنة 1924 توقيع اتفاق جديد بين إدارة التعليم والرابطة استرجعت بموجبه هذه الأخيرة المدارس الخاضعة للحماية، وتم تغيير الأطر الفرنسية بأطر يهودية من تكوين الرابطة، التي أصبحت تتلقى دعما ماليا سنويا مقابل خضوعها لمراقبة إدارة التعليم.ويرى الأستاذ كنبيب، أن استرجاع الرابطة لهذه المدارس لا يرجع إلى الخطوات التي قامت بها هذه الأخيرة في باريس فقط، وإنما يرجع إلى الضغط الذي مارسه أعيان الملاح الذين رفضوا وصاية إدارة التعليم على المدارس اليهودية.[39]

ولدعم تمدرس اليهود المغاربة بمدينة فاس، أنشأت إدارة الحماية مدرسة جديدة سنة 1918 بساحة التجارة قرب الملاح[40]، وعمدت إلى التفريق بين المسلمين واليهود في مختلف المؤسسات التعليمية.غير أنه تم تسجيل بعض الاستثناءات إذ تشير بعض الشهادات الحية إلى أن الأطفال المسلمين واليهود كان يجاور بعضهم البعض في المدرسة الإسلامية بأرفود[41].

انخراط التلاميذ اليهود في التعليم الأوروبي

على عكس أبناء المسلمين، الذين وضعت أمامهم العراقيل للحيلولة دون إلتحاقهم بمؤسسات التعليم الأوربي، فإن أطفال اليهود المغاربة استفادوا بشكل كبير من ولوج هذه المؤسسات.

فمن خلال الوقوف على العديد من السجلات الخاصة بالمدارس الأوروبية، يتضح الفرق الشاسع بين عدد التلاميذ المسلمين واليهود الذين تمدرسوا بها، خصوصا وأن التلاميذ اليهود

---

[38]*A.I.U.*, Microfilm, N29, Maroc JJ, 1-2- Lettre adressée par Lyautey au Président de l'A.I.U., N°74, du 1 juin 1915

[39]Kenbib (M.), ***Juifs et Musulmans au Maroc, 1859-1948***, Publications de la faculté des lettres, Rabat, 1994, p. 425.

[40]Bensimon (D.), ***Evolution de la femme…***, *op. cit.*, p. 139.

[41]Mergui (F.), "Attitudes des Juifs Marocains…" *op. cit.*, p. 267.

ولجوا عتبة التعليم الأوروبي في تاريخ مبكر بالمقارنة مع المسلمين الذين لم يسمح إلا لعدد محدود منهم بولوج هذه المؤسسات بعد الثلاثينات، وظل هذا القبول يخضع لشروط كانت تحددها إدارة الشؤون السياسية باعتبارها الجهاز الذي كان يبث في قبول طلبات الالتحاق بالتعليم الأوروبي.

إلا أن تزايد الإقبال على هذا التعليم من قبل اليهود، قوبل بتحفظات كبيرة سواء من قبل الساكنة الأوروبية، أو من إدارة التعليم التي ارتأت في دورية تحمل رقم 8597IP/I بتاريخ 4 دجنبر 1940، ضرورة تحديد عدد التلاميذ اليهود المغاربة في كل فصل من مؤسسات التعليم الثانوي الأوروبي، وأن لا تتجاوز نسبتهم في كل قسم 10% وطالبت إدارة التعليم من مختلف مديري المؤسسات التعليمية الثانوية طرد التلاميذ اليهود من مختلف الفصول التي تتجاوز النسبة المائوية المحددة سلفا.[42]كما شملت هذه النسبة المدارس الابتدائية، وبالمقابل كان يتم تسجيل بعض الاستثناءات، إلا أنها لم تشمل مدينة فاس، في حين قرر المقيم العام أن تصل هذه النسبة إلى 25% بالنسبة للتلاميذ اليهود بمدرستي المركز بالدار البيضاء، وشالة بالرباط، لأن أغلبية التلاميذ بهاتين المؤسستين ينحدرون من أصول يهودية جزائرية[43]، غير أن هذا التحديد لم يكن ينظر إليه بعين الرضى من طرف اليهود المغاربة الذين مارسوا ضغوطا على إدارة الحماية لإلغاء هذه النسبة التي كانت تضع القيود أمام تلامذتهم، وتحول دون إتمام دراستهم الثانوية ونيل الباكالوريا التي كان التعليم الثانوي الأوروبي السبيل الوحيد للحصول عليها.

وأمام تزايد عدد المرشحين اليهود الراغبين في ولوج مختلف الثانويات حيث بلغ هذا الرقم بالنسبة للمغرب حوالي 890 مرشحة و 680 مرشحا.أما بالنسبة لمدينة فاس، فقد بلغ عدد المرشحين:

- مدرسة "سلفان ليفي Sylvain Levy" 87 تلميذا و129 تلميذة.
- مدرسة زنقة الهند الصينية Rue Indochine 19 تلميذا و 24 تلميذة[44].

---

[42] ***A.M.F.***, Dossier Enseignement Israélite, Ricard, Pourcentage des élèves Israélites dans les classes des Etablissements d'enseignement secondaire, SN°17 Mars 1941.

[43] *Ibid.*, D.A.P., Les élèves Israélites dans les Ecoles européens, N325/ DAP 12 en date du 8 Avril 1941.

[44] ***A.M.F.***, Dossier Enseignement Israélite, Note du Directeur de la D.G.I.P sur la suppression du Numerus Clausus, Dans les Etablissements scolaire adressée au D.A.P., N3303 IP/3-t, Rabat Le 27 Avril, 1943.

ارتأت إدارة التعليم خلق دروس ثانوية ابتداء من أكتوبر 1943، في مــدارس الرابطــة اليهودية والمدارس الفرنسية-اليهودية بالمدن الكبرى، كإجراء أولي للحد من وجود التلاميذ اليهود بالمؤسسات التعليمية الأوروبية، واشترطت إدارة التعليم فرض مراقبتها على هذه الدروس تجنبا لما قد يقدم عليه الأعيان المسلمون من المطالبة بضرورة فتح دروس ثانوية في المدارس الحــرة الإسلامية[45].إلا أنه وبالرجوع لسجلات التلاميذ بالثانوية الأوروبية بفاس، يتضح بشكل جلي عدم وجود أي انخفاض أو طرد للتلاميذ نتيجة هذه القرارات.

لقد كان لهزيمة فرنسا في الحرب العالمية وقرارات حكومة "فيشي"أثارها على تمــدرس اليهود في مختلف المؤسسات التعليمية الأوروبية بفاس.وفي هذا الصدد، يشير شمعون ليفي إلــى معاناته داخل المدرسة الفرنسية حيث يقول:" ففي سنة 1941 تزامن يوم فاتح أكتوبر مــع عيــد" كيبور" وكانت إدارة التعليم قد قررت فصل كل تلميذ لم يحضر للمدرسة في ذلك اليوم، وفعلا تم طرد كل التلاميذ اليهود الذين كانوا بالقسم الذي أدرس فيه (...) ما عدا اثنــين أحــدهما والــده عسكري (...) والثاني هو أنا ..." كما أشار إلى العنصرية التي كان يعانيها مــن قبــل مــدير المدرسة الابتدائية أوفي الثانوية المختلطة.[46]

ويبدو أن هذه العنصرية لم تكن مقتصرة فقط على المدارس بفاس، حيث تــشير بعــض الشهادات إلى معاناة اليهود من العنصرية التي كان يمارسها الفرنسيون[47].

<u>التعليم المهني اليهودي بمدينة فاس</u>

رغم المجهودات المبذولة للنهوض بالشبيبة اليهودية بالملاح، فإن التعليم بمدارس الرابطة أو بالمدارس الفرنسية لم يكن كفيلا بحل معضلة الاندماج في الوسط الاقتصادي ســواء داخــل الملاح أو خارجه، لهذا انصب اهتمام الرابطة على خلق مدرسة مهنية يتلقى فيها صغار اليهــود مبادئ الصناعات الحديثة لتكوين عامل عصري يختلف عن الصانع التقليدي.

وهكذا تم بناء أول مدرسة مهنية يهودية بالمغرب بالدار البيضاء[48]، أما بمدينة فاس، فقــد حاولت الرابطة ومنذ سنة 1918، توجيه عدد من التلاميذ نحو التكوين المهني، وذلك عن طريق

---

[45]***A.M.F.,*** Dossier Enseignement Israélite, Note du Directeur de la D.G.I.P sur la suppression du Numerus Clausus, Dans les Etablissements scolaire adressée au D.A.P., N3303 IP/3-t, Rabat Le 27 Avril, 1943.

[46] حوار مع شمعون ليفي، ***مجلة أمل***، عدد 11/10، السنة 1997، ص. 251.

[47]Mergui (F.) "Attitudes des juifs…", *op. cit.*, p299, ainsi que Joseph Levy "Témoignages d'un militant juif Marocain"in Juifs du Maroc, Identité et dialogue…, *op. cit.*, p. 279.

[48]Dasey, "Commerce et travail manuel", ***L'Univers Israélite***, 10-11-31, p. 47.

إلحاقهم ببعض المشاغل[49]غير أن هذه الخطوة لم تخلف نتائج تذكر وهو ما أدى إلى التفكير جديا في خلق مدرسة مهنية. وهو ما كان يتطلب إقناع إدارة التعليم بتمويل المشروع فيما يخص المدرسين والآليات، على أن تتولى الطائفة توفير البناية، وبتظافر مجهودات كل من الرابطة والطائفة وإدارة التعليم، تم فتح هذه المدرسة في أكتوبر 1935، وتولى إدارتها "دجيفر"Djivre – مدير مدارس الرابطة بفاس .أما برنامج الدراسة فكان موزعا على ثلاث سنوات، ويشمل تعليما تقنيا، وتطبيقيا وتبلغ مدة التعليم التقني 13 ساعة في الأسبوع، يتم التركيز فيها أساسا على تلقين المتعلمين المعارف النظرية والتقنية المرتبطة بالمهنة التي سيقبلون على تعلمها.

أما الجانب التطبيقي فكان يتم التركيز فيه على المهن المرتبطة بالحديد والخشب، وبلغ عدد تلاميذ الفوج الأول 27 متعلما، وحظيت المدرسة بدعم كبير من قبل الرابطة، إذ كانت تخصص لكل متخرج مبلغ 1000 فرنك، للمساعدة على اندماجهم أو استمرار تكوينهم.

غير أن هذا التشجيع والتطور الذي عرفته المدرسة المهنية لم يلب إلا طموح فئة قليلة من التلاميذ، إذ لم يتعد عدد خريجي الفوج الأول 27 تلميذا، موزعين كالآتي:11 متخصصا في الحرف المرتبطة بالخشب، و16 متخصصا في الحرف المرتبطة بالحديد. كما أن القبول في هذه المدرسة لم يكن مفتوحا في وجه جميع التلاميذ إذ كان بمثابة مكافأة للتلاميذ الحاصلين على شهادة الدروس الابتدائية، والذين كانوا ينتمون في أغلبهم للطبقة المتوسطة[50].

رغم محدودية عدد خريجي المدرسة المهنية فإنها – لا محالة – ساهمت في تكوين جيل سرعان ما غادر الملاح نحو المدينة الجديدة للالتحاق بمختلف المهن، والصناعات الأوروبية كما اعتبرت خطوة هامة في تغيير عقلية الشباب اليهودي الذي لم يكن يقبل كثيرا على العمل اليدوي.وإلى جانب المدرسة المهنية للذكور تم خلق مدرسة خاصة بالتكوين المنزلي للفتيات بمدينة فاس منذ سنة 1941.[51] غير أن إدارة التعليم سرعان ما وضعت اليد عليها لتحولها إلى مدرسة أوروبية، وهو ما كان يعني إقصاء شريحة عريضة من الفتيات الفقيرات.

ومع نهاية الحرب استرجعت الرابطة هذه المدرسة سنة 1946، وزودتها بمشاغل جديدة في الفصالة والخياطة والطرز، حيث كانت المدرسة تسلم شهادة الكفاءة المهنية C.A.P غير أنه ومن مجموع 530 فتاة مسجلة، لم تحصل سوى 36 منهن على هذه الشهادة ويعزى هذا الفشل

---

[49]Gomel, “L'école professionnelle Israélite à Fès, ***Paix et droit***, N°5 juin 1937, pp. 7-8.
[50]Gomel, “L'ecole professionnelle Israélite à Fès, ***Paix et droit***, N5 juin 1937, pp. 7-8.
[51]Bensimon(D), Evolution de la femme Israélite à Fès…, *op. Cit,* p. 124.

أساسا إلى نفور الفاسيات سواء المسلمات أو اليهوديات من العمل اليدوي، مقابل إعطاء الأهمية للدراسات العامة المؤهلة للحصول على وظيفة في قطاع الأعمال الحرة[52].

لاشك أن الحماية فتحت آفاقا كبيرة للتطور أمام الشبيبة اليهودية التي استفادت بشكل كبير من الامتيازات التي خولت لها. وشكل التعليم إحدى وسائل النهوض الاقتصادي والاجتماعي للطائفة ، وساهم بشكل كبير في تكوين أطر سرعان ما غادرت الملاح نحو المدينة الجديدة لتشغل بعض المناصب الهامة.أكثر من ذلك، فإن الشبيبة اليهودية بفاس، أصبحت مفرنسة بشكل كلي غداة نهاية الحماية، وهو ما أدى إلى إحداث نوع من القطيعة مع الماضي الحضاري للطائفة اليهودية[53]. أما جهود الرابطة فيصعب تقييمها، فإذا كان من السهل الوقوف على التطور العددي لعدد المتمدرسين اليهود، فإنه من الصعب جدا تقييم النتائج الفكرية والأخلاقية.

[52] *Ibid.*, p. 143.

[53] Bensimon (D.), Evolution du Judaïsme…, *op. Cit,* p. 33.